***(11\3\1994م)***

***الاشتياقات الأولى للرهبنة***

**أحب أن أحدثكم حديثًا قصيرًا عن "العشرة مع ربنا" أو بتعبير لاهوتى "الشركة مع اللَّه".**

**الإنسان الذى ترك العالم واختار طريق الرهبنة هو بالتحديد اختار أن يجد تعزيته وفرحه فى الوجود مع اللَّه, واختار أن يكون مصدر سعادته الحقيقية فى الاختلاء, وفى حياة الصلاة والتسبيح, وفى التحرر من الانشغالات العالمية بكل أنواعها. يقول: *"يَا اللَّه إِلَهِى. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. إذ عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِى يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِى فِى أَرْضٍ مقفرة وموضع غير مسلوكٍ ومكانٍ بِلاَ مَاءٍ* *هَكذا تراءيتُ لَكَ فِى القُدس ِلأرَى قُوَّتَكَ ومَجدَكَ" (مز 63(62) : 1).* نفسه تشتاق لربنا *"كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ هَكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِى إِلَيْكَ يَا اللَّه" (مز 42: 1).* ويشعر أن العالم يعطله, وهو لا يريد شيئًا يعطله عن الوجود مع ربنا فاختار طريق الرهبنة كوسيلة للاقتراب من اللَّه والتمتع بعشرته ومحبته لكى ينمو فى حياة الفضيلة, وينمو فى حياة الامتلاء من الروح القدس, ولكى تزداد أشواقه نحو ملكوت السماوات ونحو الأبدية, ويتذوَّق عربون الملكوت؛ لكى ينسى كل شىءٍ فى العالم ويتذكر اللَّه وحده, وحينما يتذكر اللَّه تشتعل محبة اللَّه فى قلبه أكثر فأكثر.**

**طريق الرهبنة بالنسبة له هو الطريق الذى يؤكد بداخله الثقة إنه يسير فى طريق ملكوت السماوات. وهو الوسيلة التى بها ينفذ وصايا ربنا -كمال تنفيذ الوصية- ويقول له: يارب *"وَصاياكَ هىَ دَرسى, ناموسك هوَ درسى, مصباحٌ لرجلىَّ كلامكَ ونورٌ لسَبيلى, أخفيت أقوالك فىِ قَلبى لكَى لا أخْطئُ إليكَ" (مز 119 (118) : 11, 77, 99, 105).* يشعر أن العالم أحيانًا يجعل قدرته على سماع صوت اللَّه ضعيفةً, وأحيانًا يضغط العالم على الإنسان ويُعطل انطلاقه فى طريق تنفيذ الوصية.**

***تنفيذ الوصايا***

**وصايا ربنا بالنسبة إليه هى شهوة قلبه, وهى مصدر حياته. وهى علامة محبته؛ لأن السيد المسيح قال: *"الَّذِى عِنْدَهُ وَصَايَاىَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِى والَّذِى يُحِبُّنِى يُحِبُّهُ أَبِى وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى" (يو14: 21).* ولا يطيق إطلاقًا أن يوضع فى وضع يكسر فيه وصية ربنا.**

**ترك العالم لكى يزداد كمالاً فى تنفيذ الوصية. لم يترك العالم لأنه يريد أن يصير راهبًا, ولا لكى يتزىَّ بزى الرهبنة, أو لأنه يريد أن ينضم إلى مجمع الرهبان, ولكنه ترك العالم؛ لكى يجد اللَّه فى الدير ولكى يجد وصية المسيح نافذة فى حياته؛ يقول: *"انْتَهَرْتَ الْمُتَكَبِّرِينَ الْمَلاَعِينَ الذين حادوا عَنْ وَصَايَاكَ" (مز119 (118) : 21).* *"طُوبَاهم الذين بلا عيبٍ فِى الطَرِيق السَّالِكِينَ فِى ناموس الرَّبِّ"(مز 119 (118) :1).* أنا أريد أن أسلك بلا عيب, *"بِمَاذا يُقَوِّم الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ أقوالكَ" (مز 119 (118): 9).* كيف أسلك بلا عيب إلا إذا حافظت على حقوقك وناموسك ووصاياك.**

***"الَّذِى عِنْدَهُ وَصَايَاىَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِى والَّذِى يُحِبُّنِى يُحِبُّهُ أَبِى وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى" (يو14: 21).* وهنا تبدأ العشرة مع ربنا. كيف يرى الإنسان ربنا فى حياته؟ بأن يحفظ وصاياه. كيف يُظهر السيد المسيح ذاته لمن يكسر وصاياه؟!! النسك مثلاً لا يمكن أن يكون وسيلةً تؤدى إلى رؤية السيد المسيح إذا كان يُمارَّس بطريقة فيها كسر للوصية.**

**كثير من الناس اعتقدوا أن النسك يمكن أن يوصلهم للسيد المسيح, لكنهم تعبوا وذهب كل تعبهم سُدى, مثل شعب بنى إسرائيل ظنوا أن الناموس الحرفى سوف يوصلهم. ومعلمنا بولس الرسول قال: *"أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِى وَطَلِْبَتِى إِلَى اللَّه لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِىَ لِلْخَلاَصِ. لأَنِّى أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ. لأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللَّه وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللَّه. لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِىَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ" (رو1:10-4).***

**فالإنسان فى الطريق الروحى لابد أن يعرف إنه لكى يرى السيد المسيح يجب أن ينفذ وصاياه.**

***وصية المحبة***

**من ضمن وصايا ربنا المحبة *"وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِى: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يو13: 34).* المحبة التى*َ"تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَىْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَىْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ" (1كو13: 7).* فمطلوب من الإنسان الذى ترك حياة العالم وجاء ليحيا فى الدير أن يسلك فى طريق المحبة ويُنفذ وصايا ربنا, المحبة التى تبحث عن خلاص الآخرين, المحبة التى *"لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا" (1كو13: 5).* بل تطلب ما هو للآخرين أيضًا, المحبة التى *"تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ" (1كو13: 4).* ويقول: *"الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا" (1بط4: 8).***

**لذلك الإنسان الذى يعيش فى الدير لكى يسير فى طريق ربنا لابد أن يَستُر على خطايا الآخرين, لابد أن يطيل أناته عليهم, ويحتمل ضعفاتهم, ولابد أن يلوم نفسه قبل أن يلوم غيره لأنه *[لا يوجد شىء أفضل من أن أرجع بالملامة على نفسى فى كل أمر][[1]](#footnote-2).* ينظر للآخرين بعين الرجاء, المحبة التى ترجو كل شىءٍ.**

**الراهب الذى يريد أن يحيا فى عشرة مع ربنا يبدأ بتنفيذ الوصايا, وبعدما يعيش فى حياة تنفيذ الوصية يبتدئ السيد المسيح أن يظهر فى حياته, ثم يكون هو نفسه صورة مشرقة للسيد المسيح. إذا جلس فى القلاية يمتلئ من فرح الروح؛ لأن** "ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ" (غل 5 : 22)، **فإذا سلك فى وصية المحبة يمتلئ من الفرح ويغمر سلام اللَّه قلبه *"سَلاَمُ اللَّه الَّذِى يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ" (في4: 7).***

***شفتاكِ يا عروس***

**فى أثناء جلوس الراهب فى القلاية يشعر بأفراح السمائيين ويصير صديقًا للملائكة, وتسابيحه تفرح بها الملائكة وأحشاء القديسين. كما يقول: *"لأَنَّ أَحْشَاءَ الْقِدِّيسِينَ قَدِ اسْتَرَاحَتْ بِكَ أَيُّهَا الأَخُ" (فل1: 7).* اللسان الذى يملأه اللَّه تسابيح هو اللسان أيضًا الذى يقدم كلمات الحب واللطف والوداعة, كما يقول فى سفر نشيد الأنشاد: *"شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدا" (نش4: 11).* لسانٌ يقول كلام مثل الشهد يُفرِّح قلب ربنا ويُفرِّح قلوب القديسين ويستفيد وينتفع الناس من كلماته ومن أسلوبه ومن معاملته, هذه الشخصية يحب الله أن يسمع صوتها وعندما يقف ليصلى, ربنا يقول لهذه النفس: *"أَسْمِعِينِى صَوْتَكِ لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ" (نش2: 14)* ويحب أن يراها *"أَرِينِى وَجْهَك" (نش2: 14)* وبعد أن يشعر الراهب بحضور ربنا فى القلاية يقول اللَّه له: *"وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِى" (يو14: 21).* ويقول أيضًا: *"وَإِلَيْهِ نَأْتِى وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو14: 23), "أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِى" (رؤ3: 20)*. ما هو هذا العشاء الذى مع السيد المسيح؟ وما هو شكله؟ الذى يدعوه السيد المسيح على العشاء, تُرى ماذا يُعِد له على المائدة؟ طبعًا من المعروف أن من الدرجة الأولى شركة الإفخارستيا وعشاء الرب -جسده ودمه- هذا هو قمة الاتحاد بالسيد المسيح بلا شك.**

***عشاء العريس وشركة الإفخارستيا***

**الذى يعيش حياة تنفيذ الوصية عندما يتناول من جسد الرب ودمه يعرف أن هذا هو عشاء العريس الذى قُدِّم للعروس, هذا هو الخبز الحى النازل من السماء, لكن أيضًا إلى جوار هذا (الذى يعتبر قمة العشاء), فى القلاية يمكن أيضًا أن يكون للسيد المسيح حضور دائم ويقدم العشاء الذى له ويُشبع النفس من خيراته الروحية, يشبعها من المعرفة, ليست المعرفة العقلية التى تثير الغرور والكبرياء فى النفس ولكن كما نقول فى القداس الإلهى (أعطيتنى علم معرفتك.... أظهرت لى شجرة الحياة) شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها.**

**يُفهمه مقاصده وتدابيره وأسراره الإلهية, وأيضًا العطايا الإلهية *"كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِىَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِى الأَنْوَارِ" (يع1: 17).***

**وعندما يقول: *"أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِى" (رؤ3: 20),* مثلما يجهز الإنسان مائدة ملآنة أصنافًا شهيةً يقول له مثلاً: ماذا تشتهى أنت اليوم؟ أتريد أن تتعزى وتتذوق حلاوة التسبيح بالمزامير؟... أعطيك. أتريد أن تفرح بالتسبحة؟... أفرحك. أتريد أن تشعر بقوة كلمات الكتاب المقدس وترى إله العهد القديم والعهد الجديد وتسمع صوته وهو يتمشى فى الفردوس مثلما كان أبونا آدم يسمعه قديمًا؟ وترى ربنا وهو يمشى ما بين العهدين ويُعلن مقاصده للإنسان كما يقول: *"ظَهَرَ إِلَهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ... وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللَّه الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِى وَكُنْ كَامِلاً" (أع7: 2), (تك17: 1).***

***بابٌ مفتوحٌ فى السماء***

**معاملات ربنا مع الإنسان من البداية للنهاية يعيشها الإنسان وكأنه هو هو إبراهيم وإسحق ويعقوب, هو أخنوخ وإيليا وهو يعقوب ويوحنا وبطرس هو كل هذه الشخصيات من خلال ربنا الذى كان يتعامل مع الإنسان, عِشرة عميقة ومفاهيم تتبلور وتنمو وتزداد عمقًا وقوةً مدى الأيام.**

**عندما قال القديس يوحنا فى سفر الرؤيا: *"كُنْتُ فِى الرُّوحِ فِى يَوْمِ الرَّبِّ" (رؤ1: 10),* يقف الإنسان أمام هذه العبارة ويقول: القديس يوحنا عندما كان فى الروح؛ رأى كل ما رآه, لقد تعشى ورأى مائدة الرب فذهب ليعاين أسرار الحياة الآتية, وأيضا يقول: *"بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِى السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِى سَمِعْتُهُ كَبُوقٍ يَتَكَلَّمُ مَعِى قَائِلاً: «اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هَذَا». وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِى الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِى السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ" (رؤ4: 1, 2).* بابٌ مفتوحٌ فى السماء, من القلاية إلى باب السماء .**

**الذى يريد أن يحيا فى عشرة مع ربنا سوف يجد أمامه أبوابًا كثيرةً مفتوحةً ليس ضروريًا أن تكون بالرؤى مثل الناس التى تحب المناظر, لكن القلب نفسه يتطلع نحو الأبدية وتنسكب فيه أنوار سماوية وربنا يُعزيه** "كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ" (إش 66 : 13) **إحساسه بحضور ربنا معه يجعله لا يقلق على أى شىءٍ ولا يخاف من أى شىءٍ, حياته كلها فى يدى ربنا مثلما قال السيد المسيح: *"وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَىْءٌ" (لو10: 19)*.**

**حياة العشرة مع ربنا لا تأتى بحربٍ ومعاركٍ ولا بغضبٍ ولا تأتى بِشَّدٍ ولا بصراعاتٍ, ولكن تأتى من يدى ربنا كعطية يأخذها الإنسان ويقول: *"يُعْطِيكَ الرب حَسَبَ قَلْبِكَ وَيُتَمِّمْ كُلَّ مَشورَتكَ " (مز20(19): 4).* طالما أن الإنسان مشتاق إلى اللَّه يقول له: أنا يارب حياتى بين يديك, أنت الذى تدبِّرها فيأخذ هذه الأمور من يدى ربنا لكن المهم أن يكون هو أمينًا, لأن: *"اَلأَمِينُ فِى الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِى الْكَثِيرِ" (لو16: 10).* فحياة العشرة مع الله تأتى كعطيةٍ صالحةٍ نازلةٍ من فوق يأخذها الإنسان من يديه.**

* ***السيدة العذراء مثال للعشرة مع ربنا***

**السيدة العذراء كانت جالسة فى غرفتها فى سلام اللَّه وفى عشرة معه *"فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمتلئة نعمة اَلرَّبُّ مَعَكِ" (لو1: 28).* وابتدأ يكلِّمها عن العطية الفائقة التى من الله إليها, *"فَقَالَتْ مَرْيَمُ: هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِى كَقَوْلِكَ. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ" (لو1: 38).* وعاشت حياتها كلها يقودها صوت الرب, يقودها روح الرب, يقودها ملاك الرب حتى إلى الجلجثة.**

**وأيضًا هناك مع أفراح القيامة ومع ألسنة النار وشركة الروح القدس, هكذا يُصعدنا الروح إلى الجبال؛ لكى تنسكب فينا نعمة اللَّه بغزارة ولكن يشترط أن نُسلِّم حياتنا بين يدى القدير.**

**عندما نتأمل فى سيرة السيدة العذراء نرى كيف بدأت وإلى أين انتهت. سِجل حافل طويل, به الكثير من المتغيرات, ما بين الناصرة وبيت لحم وجبل صهيون, والنزول إلى مصر والعودة إلى الجلجثة وعند جبل الصعود. محطات عجيبة جدًا, صاعد ونازل, منير ومظلم. من يستطيع أن يُخرج من كل هذه المتغيرات هذه السيمفونية الرائعة فى النهاية إلا ربنا نفسه!**

**أنتم (كرهبان) أكثر الناس قدرةً على أن تعيشوا هذه الأمور وهذه المعانى وأن تتمتعوا بحياة العشرة مع ربنا, فهل انتفعتم من وجودكم فى الدير؟ وهل انتفعتم من خروجكم إلى البرارى؟ هذا هو السؤال. أرجو أن تتذكروا هذا الطريق وتتذكروا سبب خروجكم من العالم, لكى تنالوا هذه المواعيد الثمينة وهذه العطايا الفائقة... فليكن لضعفى ذكرًا فى صلواتكم.**

***ولربنا المجد دائمًا أبديًا. آمين.***

1. 1-بستان الرهبان, مطرانية بنى سويف, الطبعة الثانية, ص321. [↑](#footnote-ref-2)